

الحضاري الصغير

سر السبحة العجوز

قصة: منال العماوى

أشعار: أحمد زرزور

رسوم: جيهان محمود

إشراف فني: محمود الهندي



مصرية للنشر

جمهورية مصر العربية

20 شارع شريف. فيصل. الجيزة

تليفون: 5857876

محمول: 010 3558978

الطبعة الأولى: 2006 جميع حقوق الطبع محفوظة

بدأت العطلة الصيفية التي انتظرها الأصدقاء طويلاً ، الآن فى إمكانهم أن يقضوا أوقاتهم فى المرح واللعب وقراءة القصص والمجلات ، ولكن مع ذلك كان هناك شيء يكدر هذه الفرحة فمع قدوم الصيف ؛ تبدأ المتاعب أيضاً ، فجارتهم العجوز لن تتركهم يستمتعون بعطلتهم على أية حال . هم لم ينسوا أبداً ما حدث لهم فى الصيف الماضى ،

عندما استطاعت جارتهم العجوز أن تحيل حياتهم إلى سلسلة من المضايقات ، وخصوصاً عندما تعلو صرخاتهم وهم يلعبون ، عندئذ ، تشتعل غضباً وتطاردهم بعصاها التى تشبه عصا الساحرات ، وهى تنهرهم بتكشيرتها المفزعة التى تلقى الرعب فى قلوبهم . كما كانت تتعمد إغاضلتهم ، فتستولى على الكرة لكى تحرمهم من اللعب .

ولونسى الأصدقاء هذا كله ، فلن يستطيعوا أن ينسوا ما حدث لـ «مشمش» وكيف كانت جارتهم تقسو عليه ، دون أن تراعى أنه قط ضعيف لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ، فكانت تطرده وتضطهده كلما حاول أن يقترب منها ، إلى أن جاء ذلك اليوم الرهيب ، الذى رأوا فيه من الشرفة «مشمش» ممدداً على رصيف الشارع دون حراك والدب ينزف منه ، فأسرعوا



يقفزون على السلالم قفزاً لإنقاذ «مشمش»، وفى داخل كل واحد منهم الشك ، من المؤكد أنها جريمة قتل، فإن «مشمش» كان ماهراً جداً وشديد الحرص، فكيف يتعرض لحادث يفقده التوازن فيقع هكذا فى الشارع لا بد أن يداً آثمة هى التى دفعت به فوق ، آه ، لا بد أنها جارتهم الساحرة الشريرة الوحيدة التى تكره «مشمش».

ما إن وصلوا إلى الرصيف حيث كان يرقد «مشمش» حتى فوجئوا بشيء لا يصدق عقل ، فقد اختفى «مشمش» بينما ظلت بقعة من دمه شاهداً على ما حدث .
إذن فإن «مشمش» كان ضحية جارتهم العجوز فى الصيف الماضى فعلى من سيكون الدور هذا الصيف ؟!

هكذا راح الأصدقاء يبحثون عن خطة عبقرية ليتخلصوا نهائياً من إزعاج هذه الجارة ، لكنهم رأوا ألا يتعجلون فى أمر مصيرى كهذا .

وفى يوم ، وبينما كانوا جالسين فى هدوء بعد يوم جميل قضوه فى النادي ، إذ بهذه الجارة تقتحم عليهم خلوتهم فجأة : وجدوا وجهها العابس يطل عليهم ، أصابهم الفزع ، واحتبست أنفاسهم وقد أيقنوا أنهم وقعوا فى مصيدة ، فلم يشعروا بأنفسهم ، إلا وهم يجرون بأقصى سرعتهم وقد ملأهم الرعب وهم يصرخون مستنجدين بمن ينقذهم من هذه الساحرة الشريرة، كان لا بد لهم أن

يفعلوا شيئاً بعدما حدث ، خاصة ، وأنهم لاحظوا أن هذه الجارة بدأت تتصرف بطريقة غريبة ، فمرة سمعوها تضحك بصوت عال جداً ، ذلك رغم علمهم أنها تسكن فى بيتها الكبير بمفردها، كما بدأت تخرج كثيراً من



البيت وتعود محملة بأكياس ممتلئة وضخمة ، أما أغرب شيء شاهدوه فهو يوم رأوا فى شرفتها ملابس جديدة وجميلة معلقة على أحبال الغسيل ، ياه .. ولكنها ملابس للأطفال .. من أين جاءت تلك الملابس؟! فليس لدى جارتهم أطفال ، بل لم يزرها أبداً أى طفل من قبل ، وكيف يجرؤ أى طفل على زيارة ساحرة شريرة مثل جارتهم؟؟

لا بد أن فى الأمر سرأ .. وهكذا قرر الأصدقاء أن يراقبوا منزل جارتهم ، فربما اكتشفوا سر التصرفات المريبة التى أصبحت تحدث هذه الأيام ، لن يدهشوا لو اكتشفوا أنها اختطفت طفلة مسكينة لتعذبها أو لتجرب فيها أعمالها السحرية !

أقترح أحد الأصدقاء أن يستعينوا بالكبار لوضع حد لشرور هذه الجارة ، فلم يعد فى استطاعتهم أن يهنأوا بلعب أو مرح وهم يشعرون أن بالقرب منهم طفلة مخطوفة مسكينة. ما رأيكم لو حكيانا لـ ماما كل شيء ، أنا متأكد أنها سوف تساعدنا ..

هكذا اقترح أحد الأصدقاء ، وافق الجميع ، وذهبوا إلى الـ ماما وحكوا لها كل شيء ، وكانوا يعلمون أنها أيضاً مثلهم ومثل كل سكان الشارع تتجنب هذه الجارة بالذات ، بينما كان كل الجيران متحابين وأصدقاء.

استمعت الـ ماما لهم فى هدوء ثم قالت :

كيف تشغلون بالكم هكذا يا أولاد ، بهذه الطريقة لن تستمتعوا بالأجازه ، ثم ما هذا الكلام الغريب ، إن الجارة لن تستطيع أن تؤذيكما كما تتصورون ، ثم هى ليست ساحرة ولا شريرة إلى هذا الحد وليس عندها أطفال مخطوفون بالطبع.

- إذن لماذا يقاطعها كل سكان الشارع .. سأل أحد الأصدقاء

- أجابت الـ ماما : يجب أن تعرفوا أن ما يحدث بين الكبار لا يجب أن يتدخل فيه

الصغار ، والآن اتركوا هذه الجارة فى حالها واستمتعوا بأجازاتكم ولا تضيعوا أوقاتكم فى كلام فارغ وأوهام .

لم يقتنع الأصدقاء بكلام ماما ، ولكن لم يكن أمامهم إلا أن



يستسلموا

للأمر الواقع، وهكذا افترقوا
وعادوا إلى بيوتهم وهم لا يعلمون ما
يخبئه لهم القدر.

وحدها الصدفة هي التي جعلت فارس يستيقظ من النوم في منتصف الليل ، حيث
شعر بالعطش الشديد ، وبينما كان ماراً بجوار حجرة والديه تطرق إلى سمعه هذا
الحوار الغريب فتسمر في مكانه وقد شعر أن الدم قد تجمد في عروقه من
هول المفاجأة ، كان صوت والده غاضباً جداً :

- يجب ألا نخضع لجبروت هذه المرأة القاسية لن
أصمت بعد الآن ، سأواجهها بكل شيء ،

ولحظتها سترى ماذا يحدث

لا بد أنه يتحدث عن الساحرة

الشريرة ، هكذا حدث فارس
نفسه، ثم ارتفع

صوت

والده

من



جديد قائلاً : لقد كان الأولاد على حق، فعلاً إنها ساحرة شريرة
اتضح الآن كل شيء ، وتأكد فارس أن والده كان يقصد جارتهم فأسرع إلى غرفته ، وهو في حالة
انفعال شديد لدرجة أنه لم يستطع أن يعاود النوم ، فراح ينتظر طلوع النهار حتى يسرع إلى أصدقائه
ويحدثهم بما لديه من أخبار غير متوقعة .

فى الصباح عندما دخلت أشعة الشمس إلى حجرة فارس فتح عينيه وقفز فوراً من فراشه وأسرع إلى
أصدقائه . اندهش الأصدقاء عندما رأوا فارس وقد بدا متوتراً جداً لكنهم عندما عرفوا بما حدث
انتقلت إليهم هم أيضاً عدوى التوتر وبعد فترة من تداول الآراء قرروا مواجهة هذه الكارثة ، وتعاهدوا أن
يحموا الكبار من شرور جارتهم بأية طريقة ، فقد تأكدوا أن هناك سرّاً رهيباً عن هذه الجارة لا يريد
الكبار أن يبوحوا به .

وبينما هم جالسين يعدون الخطة لتنفيذ ما تعاهدوا عليه ، فجأة انفتح باب جارتهم، وخرجت فتاة
صغيرة رائعة الجمال تشبه الملائكة بشعرها الطويل الناعم وابتسامتها الرقيقة وفستانها الأبيض الأنيق
صاح أحد الأصدقاء :

- انظروا إنها ترتدى نفس الفستان الذى وجدناه منشوراً بالأمس.

كانت الفتاة تنظر إليهم بود ومحبة ، بعد أن أغلقت الباب وقفت مكانها تنظر لهم وكأنها تنتظر شيئاً
، لم يدر الأصدقاء ماذا يفعلون وهم ينظرون بعضهم لبعض دون أن تخرج منهم كلمة واحدة وكان مر
الممكن أن يظل هذا الوضع لساعات ، لولا أن الطفلة الجميلة اتجهت إليهم وعلى شفرتها ابتسامة جميلة
كان واضحاً جداً أنها تريد أن تقول شيئاً، فهل ستطلب منهم أن يخبئوها من الساحرة الشريرة، هكذا فك
الأصدقاء ، ولكن كيف استطاعت أن تهرب من سجنها؟ والأغرب من هذا كله أنها لم تكن يبدو عليها أى
خوف ولا ارتباك .

- أنا اسمى مايا .. قالت الطفلة وهى تنظر لهم فى ارتباك

فجأة ، أسرع الأصدقاء إلى مايا وأخذوها من يدها وراحوا يجرون بها دون توقف إلى أن وصلوا إلى
منزل فارس، بينما كانت مايا تحاول أن تخلص يدها منهم دون أن يتركوا لها فرصة.

اتركوني - ماذا تفعلون - هل أنتم مجانين؟ صاحت
مايا - ولكن لا أحد منهم بدا عليه أنه يسمع!
اندفعوا جميعاً داخل شقة فارس وهم يقبضون على
يد مايا بحرص شديد ، وبعد أن أغلقوا الباب خلفهم ،
جلسوا يستريحون ويلتقطون أنفاسهم ، إلى أن قال فارس :

- أنت الآن في أمان يا مايا ، ولن يستطيع أحد أن
يمسك بسوء ، فاجلسي واعتبرينا أصدقاءك .
أخذت مايا تتفكر فيهم وهي في غاية
العجب ، وخاصة أن كلمات فارس كانت
أغرب شيء سمعته في حياتها
فقالت : لماذا تفعلون هذا ، هل
أنتم حمقى أم مجانين أم
ماذا؟



أرجوك أن تثقى بنا ، أننا نعلم كل شيء عنك ، ونريد أن نساعدك
قال تامر كأنه يطمئنها ، ثم اندفعت سارة تقول لها: كيف استطعت الهروب من الساحرة الشريرة ؟
هل كانت تعذبك ؟؟ ومنذ متى وأنت مخطوفة :

ردت مايا مندهشة : مخطوفة ؟! أنا ؟! من قال لكم هذا الكلام الفارغ ؟!
كان هذا آخر شيء يتوقعون سماعه ، فكروا : ربما هددتها الساحرة إن تكلمت ، لذا فهي خائفة أو
تبوح بأى شيء ولكن فارس وقد قرر أن يرغمها على الاعتراف مستعيناً بذكائه . قال لها بثقة شديدة
يجب أن تعلمى أننا رأيناك تخرجى من باب الشقة رقم ٥ ، ونحن نراقب هذه الشقة منذ وقت طويل ، ونعلم
كل شيء عن صاحبة البيت ، فليس لديها أطفال صغار ولا يزورها أى إنسان، كما نعرف كل الأشياء
الشريرة التى تفعلها ونحن نجمع الأدلة لنقدمها للمحاكمة بتهمة ممارسة السحر والشعوذة .

صاحت مايا : ما هذا الكلام ، كيف تجرأون أن تقولوا ذلك عن جدتى ؟
صاح الأصدقاء كلهم فى نفس واحد : جدتك ؟! هل هذه الساحرة الشريرة جدتك ؟
صرخت مايا فيهم بطريقة غير متوقعة قائلة : جدتى ليست ساحرة وليست شريرة ، لا أسمح لكم أن
تتحدثوا هكذا عن جدتى، وأصبح الموقف محرّجاً فجأة ، وبدأ الأصدقاء يدركوا المصير الذى وقعوا فيه
فقد كان عليهم أن يراعوا شعور مايا ، فلا يصارحونها بكل شيء ، وشعورا بالخجل من أنفسهم لأن مايا
بدت حزينة وعلى وشك البكاء ، فأخذوا يعتذرون لها حتى زال التوتر وتصافى الجميع .
بعد فترة صارح الأصدقاء مايا بقصتهم مع الجدة، فتعجبت مايا وقالت لهم بحرارة : لا أصدق أن
جدتى الطيبة تفعل أى شيء من هذا، هناك سوء تفاهم أكيد ، ولن أقف أتفرج ، هيا .

- إلى أين .. سأل الأصدقاء بخوف: - نذهب إلى جدتى ..
قالت مايا ذلك ببساطة لكنها فوجئت بصياح هائل لا ..
ضحكت مايا من قلبها وقالت : لا تكونوا جبّاء ، هيا بنا ، أنتم فى حمايتى .
انقسم الأطفال قسمين ، قسم تحمس للذهاب مع مايا ، وقسم آخر أصابه الرعب الشديد، وف
النهاية ذهبت مايا إلى جدتها مع فارس وسارة .

طرقت مايا الباب وعندما وجدتها الجدة بصحبة فارس وسارة ابتسمت لهم وقالت : مرحبا.. مرحبا..

عرفت مايا جدتها على فارس وسارة ثم أخذتهما إلى حجرتها الخاصة التي كانت غرفة جميلة جداً تتزين حوائطها بأجمل الشخصيات الخيالية وتمتلئ بالعشرات من اللعب المختلفة ، ولكن ما هذا ؟ انظر، صاحت سارة وهي تشير بأصبعها إلى ركن الغرفة ، نظر الجمع ، وكانت مفاجأة مذهلة ، قط وديع نائم في هدوء أنه يشبه «مشمش» ، عندما سمع القط صوت الأصدقاء ، أرهف أذنه برهة وقد استيقظ من نومه ثم فجأة اندفع إليهم يرحب بهم، إنه هو، غير معقول ، مشمش.. مشمش.. أنتى حى.. إننا لا نصدق .

أخذ مشمش يتنطط حولهم ويلاعبهم وهو مسرور جداً من هذه المفاجأة السارة ، فهو لم ينس أبداً أصدقاءه

دخلت الجدة غرفة مايا وهى تحمل بين يديها صينية كبيرة عليها أشهى السندوتشات والعصائر ، وكذلك طبق وضعت فيه كمية وفيرة من اللبن الطازج الشهى وضعته أمام «مشمش» وأخذت تحثه على الأكل وهى تربت عليه فى حنان



أخذ فارس وسارة ينظرون إلى بعضهم البعض وهم غير مصدقين أن تكون هذه السيدة العجوز بكل هذه الطيبة الشديدة.. يبدو أن «مشمش» يحبك يا جدة ..

قالت سارة : فنظرت الجدة إليها وقالت : أنا أيضاً أحبه ، عندما عثرت عليه ، كان يتألم بشدة من جروحه التي أصيب بها نتيجة شقاوته ، فحملته بسرعة وأحضرت له الطبيب ، وظللت أراعيه حتى شفي والحمد لله ، ومن يومها ونحن لا نفترق ، ولقد تعلم «مشمش» درساً من التجربة القاسية التي مر بها ، وأصبح الآن قطعاً هادئاً ووديعاً ، بعد أن عرف أن الشقاوة لم تسبب له إلا الألم .

قضى فارس وسارة يوماً من أسعد أيامهما ، مع مايا ، فكل اللعب في متناول أيديهما ، بل إن الجدة شاركتهم بعض الألعاب المسلية ، وكانت بين حين وآخر تفاجئهم بأطباق لذيذة من الحلوى الشهية .

مضى الوقت سريعاً جداً ، وحن وقت الانصراف ، افترق الأصدقاء الجدد على وعد باللقاء غداً ، وعندما خرج فارس وسارة من بيت مايا ، وجدوا الأصدقاء ينتظرونهما بلهفة عند الباب وابتدروهم علاء قائلاً : لو كنت تأخرتم خمس دقائق ، كنا سنقتحم البيت ونطلب النجدة .

ضحك فارس وسارة من هذا الكلام ثم راحا يقصان على أصدقائهما كل ما حدث ، وقالوا لهم إنهم مدعوون غداً للغداء مع مايا .

في الموعد المحدد ، ذهب الأصدقاء إلى جارتهم العجوز ، التي فرحت كثيراً بقدومهم واستقبلتهم أحسن استقبال ، أيضاً «مشمش» فرح كثيراً عندما جاءوا ، وقد ظن أن زيارة خاصة له ، فراح يتنطط بينهم وهو يصدر أصواتاً تعبر عن فرحته وترحيبه بهم ، اصطحبتهم مايا إلى غرفتها ثم قالت لهم بعد أن أغلقت الباب جيداً : ألم أقل لكم ، أن جدتي طيبة جداً ولا يمكن أن تؤذي أى مخلوق ، وقد فكرت طويلاً في كل ما حدث ورأيي أن هناك سوء



تفاهم جعل الكبار يقاطعون جدتي مثلما حدث معكم ، ورأيت أن نصارحها بكل شيء ، فهي أكبر منا وأكثر حكمة.

وافق الجميع وذهبوا فوراً إلى الجدة التي استمعت إليهم باهتمام ولكنها لم تستطع أن تكتم ضحكة وهي تسمع منهم كيف اعتقدوا أنها ساحرة شريرة وأنها انتقمت من «مشمش» ، فى النهاية قالت :
أحب أن أقول لكم يا أحبائي إننى إنسانة أقضى كل وقتى لعملى لذلك أحتاج الهدوء لإنجاز العمل على أكمل وجه لهذا كان يغضبني جداً الضجيج الفظيع الذى كنتم تقومون به دون أن تراعوا مشاعر الآخرين ، واحتياجهم للهدوء ، أما بالنسبة للكبار فهناك فعلاً مشكلات بينى وبينهم .
ما هى هذه المشكلات يا جدة ، وهل لها حل ؟!

ليست هناك مشكلة ليس لها حل ، ولكننا لم نفكر من قبل أن نطرح وجهة نظرنا ونحاول حل هذه المشكلات ، لذلك تكبر المشكلات وتتفرغ ، لكنى على استعداد لحل كل الخلافات ، ولا مانع عندي من دعوة والدك يا فارس لمناقشة أى خلاف بيننا بشكل حضارى وكذلك مع الجميع .

توجه الأصدقاء إلى بيوتهم وقصوا على آبائهم وأمهاتهم ما حدث ، رحب الأهل باقتراح الجدة ودعوتها لهم .

كانت جلسة هادئة ، كل واحد عرض وجهة نظره ، وكل منهم أصغى للآخر فى ود وتفاهم ، حتى توصلوا إلى حل كل المشكلات فى جلسة واحدة ، وفى النهاية ، اقترحت الجدة أن يحتفلوا بهذه المناسبة السعيدة .

فى الحفل الذى أقيم فى المساء كان القط مشمش أكثر الموجودين سعادة ، فقد أخذ يجرى هنا وهناك يرحب



بالضيوف ، ويؤدي أمامهم قفزات استعراضية وحركات تمثيلية مضحكة وهو يصيح بفرح ، وبين حين وآخر كان يذهب إلى الجدة الطيبة ويقفز على قدميها أو ينكمش في حضنها برهة ، ثم يعود مرة أخرى للهو واللعب بينما الأصدقاء يغنون:

في سهرتنا الحلوة
نهدى أجمل غنوة
كل الناس أصحاب
والصحبة أحاب
إن كنا أخطأنا
فالآن تعلمنا
ما أحلى الأيام
حين يعم سلام

كل العالم أخوة
وله ننشد غنوة
إن نحيا بمودة
يغدو العالم وردة.

